الموقف العربي الرسمي من طوفان الأقصى والعدوان على غزة

الدلالات والتداعيات

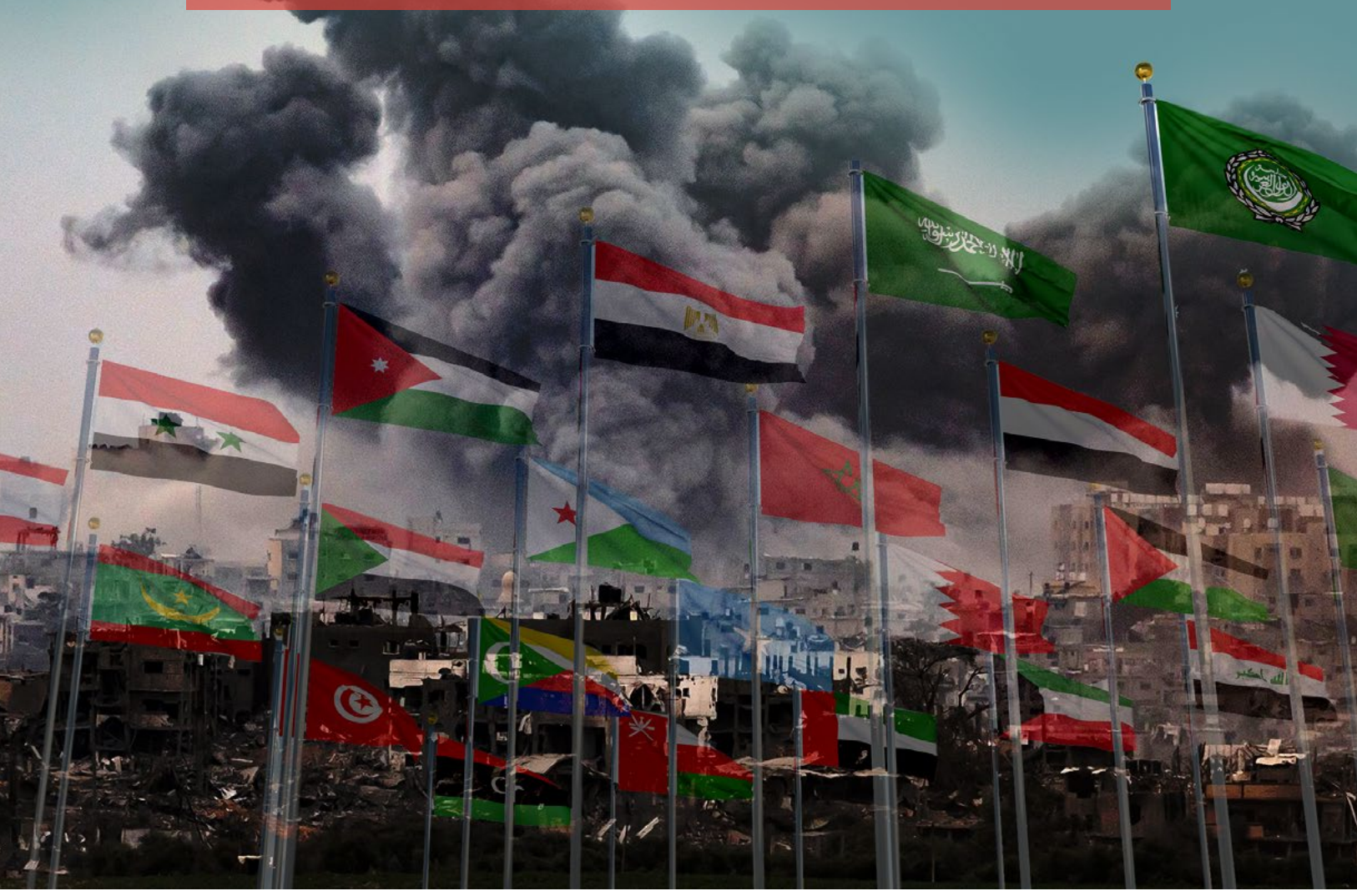

إعداد

براءة درزي

مؤسسة القدس الدوليّة

كانون الثاني/يناير 2024

مؤسسة القدس الدّولية

al Quds International Institution (QII)

Qii.media

المحتويات

مقدمة 2

في خلفية معركة طوفان الأقصى وأسبابها 3

1. الاعتداء على المسجد الأقصى والمرابطات 3

2. تصعيد الاعتداءات بحق الأسرى 4

الموقف العربي الرسمي من طوفان الأقصى والعدوان على غزة 5

السلطة الفلسطينية 7

الموقف العربي: خطاب مكرر من الإدانة، ومساواة بين المقاومة والاحتلال 12

المشكلة ليست القضاء على «الإرهاب» 15

قمم وبيانات: خطاب العجز والتنصّل من المسؤولية 16

مبادرات لإخراج المحتل من مأزقه 19

العلاقات مع الاحتلال 20

الدلالات والتداعيات 24

القضيّة الفلسطينية و«الشرعية الدولية» 24

افتراق الموقف الرسمي عن الموقف الشعبي 25

مسار التطبيع: سراب تحقيق «السلام» وحلّ القضية الفلسطينية 26

خلاصة 29

مقدمة

شكلت عملية طوفان الأقصى التي نفذتها حركة «حماس» في 2023/10/7، محطة بارزة على طريق العمل المقاوم في فلسطين، وتذرّع الاحتلال بالعملية التي أثارت الأسئلة حول قدراته الاستخبارية، ليشنّ عدوانًا همجيًا على قطاع غزة، مدعومًا بالدرجة الأولى من الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية التي تبنّت بداية رواية الاحتلال برّرت عدوانه تحت عنوان «حقّ الدفاع عن النفس».

واستتبعت العملية والعدوان الذي شنّه الاحتلال مواقف عربية رسمية تراوحت بين التعبير عن القلق من التصعيد وتمدد الصراع ليصبح صراعًا إقليميًا، والدعوة إلى وقف «العنف»، وإلى ضبط النفس، وأبدت دول عدم معارضتها هدف الاحتلال في القضاء على «حماس» وحركات المقاومة، وإن كانت قلقة من أنّ ذلك سيستغرق سنوات، وعقد قادة عرب قممًا ولقاءات وأجروا اتصالات لكنها لم تحمل في مجملها موقفًا قويًا يمكن أن يضغط على الاحتلال وداعميه لوقف العدوان، ووجهت الدول العربية مطالبات إلى دول العالم من دون أن تعمل، بما تملكه من قدرة على الضغط والحراك، على فكّ الحصار إو إدخال المساعدات أو وقف العدوان.

تسلّط هذه الورقة الضوء على الموقف العربي الرسمي، مع التركيز على الدول التي كان لها مواقف بارزة طغت على تشكيل هذا الموقف ورسم إطاره العام، وتطرح أبرز دلالات هذا الموقف وتداعياته.

في خلفية معركة طوفان الأقصى وأسبابها

أشارت تصريحات قادة المقاومة والناطق باسم كتائب القسام إلى أنّ إطلاق عملية طوفان الأقصى كان على خلفية تصاعد العدوان على المسجد الأقصى والمرابطين والمرابطات، وعلى الأسرى في سجون الاحتلال. فقال الضيف في تصريحه: إنّ العدو دنس المسجد الأقصى وتجرّأ على مسرى الرسول محمد، واعتدوا على المرابطات، وسبق وأن حذّرناه من قبل»، مضيفًا: «الاحتلال ارتكب مئات المجازر بحقّ المدنيين، واليوم يتفجر غضب الأقصى، وغضب أمتنا، ومجاهدونا الأبرار، وهذا يومكم لتفهموا العدو أن زمنه قد انتهى»[1].

كذلك، قال الناطق باسم كتائب القسام أبو عبيدة: «من سبّ نبينا محمد واعتدى على الأقصى سيصله الجواب تباعًا»[2].

وقال نائب رئيس حركة «حماس» إن عملية طوفان الأقصى جاءت للرد على جرائم الاحتلال المستمرة، وإنّ مجاهدي قطاع غزة بدأوا عملية واسعة بهدف الدفاع عن المسجد الأقصى وتحرير الأسرى[3].

1. الاعتداء على المسجد الأقصى والمرابطات:

صعّد الاحتلال من وتيرة عدوانه على الأقصى بعد تشكيل بنيامين نتنياهو حكومته السادسة في كانون الأول/ديسمبر 2022، التي كانت انعكاسًا لصعود غير مسبوق للصهيونية الدينية[4].

ووجدت «جماعات المعبد» المتطرفة في استلام إيتمار بن غفير وزارة الأمن القومي فرصة تاريخية للدفع بمطالبها في ما خص المسجد الأقصى، ووجهت له رسالة تتضمن عشرة مطالب شكلت أساس سياسته العدوانية تجاه الأقصى[5].

وتصاعدت الاعتداءات على الأقصى على مدى العام، وبلغت ذروتها في موسم الأعياد العبرية الطويل[6]، وقد وصل مجموع المستوطنين الذين شاركوا في اقتحام الأقصى لمناسبة رأس السنة العبرية، وعيد الغفران، وعيد العرش قرابة 7000 مستوطن، من بينهم 5800 في الأيام الخمسة من أسبوع العرش المتاحة فيها الاقتحامات، وترافقت الاقتحامات مع صلوات وطقوس توراتية، ونفخ البوق بالقرب من مصلى باب الرحمة

1 موقع العربي الجديد، 2023/10/7. https://buff.ly/48YkctK

2 فضائية الأقصى، 2023/10/7. https://seraj.tv/post/31643

3 قدس برس، 2023/10/7. https://qudspress.com/82193

4 الجزيرة، 2023/11/12. https://aja.ws/hnky22

5 للاطلاع على مضمون الرسالة، انظر: موقع مدينة القدس، 2023/2/1. https://buff.ly/3RY3nJ5

6 وافق الموسم ما بين 9/16 و2023/10/7، وانتهى عمليًا في 2023/10/5 نظرًا إلى أنّ اليومين الأخيرين من «عيد العُرش» صادفا يومي الجمعة والسبت اللذين تمنع فيهما اقتحامات الأقصى.

في الجهة الشرقية من الأقصى، وإدخال القرابين النباتية، واقتحام الأقصى باللباس الأبيض الكهنوتي[7]. والتزامن، حوّلت شرطة الاحتلال القدس والمسجد الأقصى إلى ثكنة عسكرية، ومنعت المسلمين من الوصول الى ساحات المسجد الأقصى[8]. واعتدت قوات الاحتلال بالضرب والسحل على المرابطين والمرابطات الذين أبعدهم الاحتلال عن الأقصى فرابطوا عند أبوابه وفي أقرب نقطة يمكنهم الوصول إليها في مشاهد وثقتها عدسات الكاميرات لصحفيين حاولت قوات الاحتلال إبعادهم ومنعهم من توثيق اعتداءاتها[9].

2. تصعيد الاعتداءات بحق الأسرى:

اعتمد الاحتلال تصعيدًا خطيرًا بحق الأسرى في سجون الاحتلال، قاده وزير الأمن القومي في حكومة الاحتلال إيتمار بن غفير[10]. فمنذ بداية العام، أصدر بن غفير جملة من القرارات التعسّفية التي استهدفت الأسرى في سجون الاحتلال لفرض مزيد من التضييق عليهم وعلى عائلاتهم. ومن القرارات إغلاق مخابز «البيتا» في سجني «ريمون» و«النقب»[11]، وتقليص الوقت المسموح للاستحمام[12]، وتحميل الأسرى تكاليف علاجات الأسنان في المعتقل[13]، وإلغاء إمكانية الإفراج المبكر عن أسرى فلسطينيين[14]، وتقليص زيارات العائلات الفلسطينية في الضفة الغربية لأبنائها في سجون الاحتلال، من مرة كل شهر إلى مرة كلّ شهرين[15].

واعتمدت إدارة السجون، بناء على توجيهات بن غفير، إهمال إضراب الأسرى المعتقلين بقرارات إدارية، وفي مقدّمتهم الشيخ خضر عدنان الذي استشهد في أيار/مايو بعد 86 يومًا من الإضراب المفتوح عن الطعام رفضًا لاعتقاله التعسّفي، وتعنّت الاحتلال في الاستجابة لمطالبه وإبقائه في عيادة سجن الرملة رغم تدهور حالته الصحية[16].

7 موقع القدس 360، 2023/10/5. https://alquds360.me/2093-2/

عن موسم الأعياد العبرية الطويل والطقوس التي تسعى «جماعات المعبد» لفرضها في الأقصى فيه، انظر:

زياد ابحيص، الأقصى أمام موسم العدوان السنوي الأعتى، موقع القدس 360، 2023/8/29. https://buff.ly/3PiHX86

8 من بيان لمجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في القدس، 2023/10/3. منشور على صفحة دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس على فيسبوك: https://buff.ly/46tRXl8

9 موقع الرسالة، 2023/10/2. https://alresalah.ps/post/291737

10 التصعيد الذي قاده بن غفير استلهمه من توصيات سلفه جلعاد أردان، كان تبناها مطلع عام 2019، تحت عنوان «تقليص ظروف» اعتقال الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال.

انظر: وكالة الصحافة الفلسطينية (وفا)، 2023/2/20. https://wafa.ps/Pages/Details/66196

11 وفا، 2023/2/1. https://www.wafa.ps/Pages/Details/64972

12 شبكة راية الإعلامية، 2023/2/13. https://www.raya.ps/news/1146273.html

13 قدس برس، 2023/6/6. https://qudspress.com/55074/

14 الأناضول، 2023/7/30. http://v.aa.com.tr/2957699

15 الجزيرة، 2023/9/1. https://aja.me/nkd17u

16 الأناضول، 2023/5/2. http://v.aa.com.tr/2886416

الموقف العربي الرسمي من طوفان الأقصى والعدوان على غزة

جاءت عملية طوفان الأقصى والعدوان على غزة بعد قرابة ثلاثة أعوام من تطبيع العلاقات بين دولة الاحتلال من جهة وكلّ من الإمارات والبحرين والمغرب والسودان من جهة أخرى، وفي وقت يجري فيه الحديث عن تقارب بين السعودية ودولة الاحتلال للتوصل إلى اتفاق للتطبيع بين الجانبين[17]. كذلك، جاءت العملية في مرحلة شهدت تحوّل الموقف من المقاومة من كونها عبئًا إلى خصم[18]، وحتى عدو، تنبغي محاربته والتخلّص منه لما يشكّله من خطر على مسار التطبيع ومنع تحوّل هذا المسار، على الرغم من تمدّده، إلى وجهة نظر مقبولة عربيًا وإسلاميًا.

على مدى السنوات الماضية، تراجعت القضية الفلسطينية إلى حدّ كبير في الموقف العربي الرسمي لمصلحة التقارب مع دولة الاحتلال وتطبيع العلاقات معها، ضمن تصور مفاده، ضمن أمور أخرى، أنّ تحصيل النظام الحاكم مكاسب من الولايات المتحدة يمرّ من التطبيع مع «إسرائيل» التي ترى بدورها أنّ توسيع علاقاتها في المنطقة يمكن أن يضمن لها تخطّي القضية الفلسطينية وإجبار الفلسطينيين على القبول بما يمليه الاحتلال من دون الحاجة إلى أن تضطر «إسرائيل» إلى تقديم أيّ «تنازل» يتعارض مع مشروعها الاستيطاني الإحلالي في فلسطين التاريخية.

وفي ما عنى السببين المباشرين لإطلاق عملية طوفان الأقصى كما أعلن عنهما قادة حماس، وكما بيّنا أعلاه، فإنّ الموقف العربي لم يُبدِ تعاملًا جادًّا مع اعتداءات الاحتلال المتصاعدة بحقّ الأسرى والأقصى، واقتصرت تجلّيات هذا الموقف على الدوران في فلك الإدانة والاستنكار، من دون تسجيل موقف حازم وعملي حيال تهويد الأقصى أو آلاف الأسرى من الرجال والنساء والأطفال الذين يحتجزهم الاحتلال في سجونه ويحرمهم من حقوقهم كأسرى، ولكأنّ ذلك شأن إسرائيلي داخلي، وليس شأنًا عربيًا وإسلاميًا ينبغي أن تكرّس الجهود الحقيقيّة للتعامل معه، ناهيك بالعمل على إنهاء الاحتلال لا ترسيخ وجوده في المنطقة.

كانت عملية طوفان الأقصى، التي امتدت على مدى ساعات من يوم 2023/10/7، مفاجئة بتوقيتها، وبالنتائج التي حقّقتها بسرعة وحسم، من عدد الأسرى الإسرائيليين، والسيطرة على غلاف غزة، وتدمير فرقة غزة، بما تعنيه من تدمير خبرة متراكمة، لا يمكن الاحتلال تعويضها بسهولة[19]. وبدا أنّها يمكن أن

17 فوكس نيوز، 2023/9/20. https://buff.ly/3Rv8yQl

18 محسن صالح: الموقف العربي من العدوان على قطاع غزة.. حضيض جديد، الجزيرة، 2023/11/23. https://aja.ws/jq7hng

19 ساري عرابي: ماذا يعني تدمير فرقة غزة؟ منشور على حسابه على تويتر، 2023/10/12.
https://twitter.com/sariorabi/status/1712485060358668616

تكسر، كعمل مقاوم، جمود «العملية السياسية» وأن تشكّل عامل قوة لمصلحة القضية الفلسطينية؛ وهذا الإنجاز يفسّر، إضافة إلى عوامل أخرى، ضراوة العدوان الإسرائيلي على غزة وحديث مسؤولي الاحتلال عن استمرار العدوان حتى القضاء على حركة «حماس»[20].

بدأت المواقف تتوالى بعد ساعات من عملية طوفان الأقصى وعلى أثر بداية العدوان الإسرائيلي على غزة الذي أسماه الاحتلال «السيوف الحديدية»، وسيطر على الموقف العربي الرسمي خطاب الإدانة، والمساواة بين المقاومة والاحتلال عبر استعمال مصطلح «العنف»، والدعوة إلى وقف العدوان على غزة بسبب تداعياته الإنسانية، عبر استعمال مصطلح «العنف» ودعوة «الجانبين» إلى وقف التصعيد، إضافة إلى المطالبة بوقف العدوان على غزة بسبب تداعياته الإنسانية، وذلك في محاولة لامتصاص غضب الشارع العربي.

وفيما ارتبط دور قطر بلعب دور الوسيط للتوصل إلى هدنة، وإبرام صفقة تبادل أسرى، فقد حضر اسم مصر بقوّة في ما خصّ معبر رفح، جنوب غزة، لإدخال المساعدات الإنسانية إلى القطاع، أمّا السلطة الفلسطينية فعكس خطابها ترقّبًا للتخلص من حركة «حماس» والظهور على أنّها الممثل الوحيد للشرعية الفلسطينية.

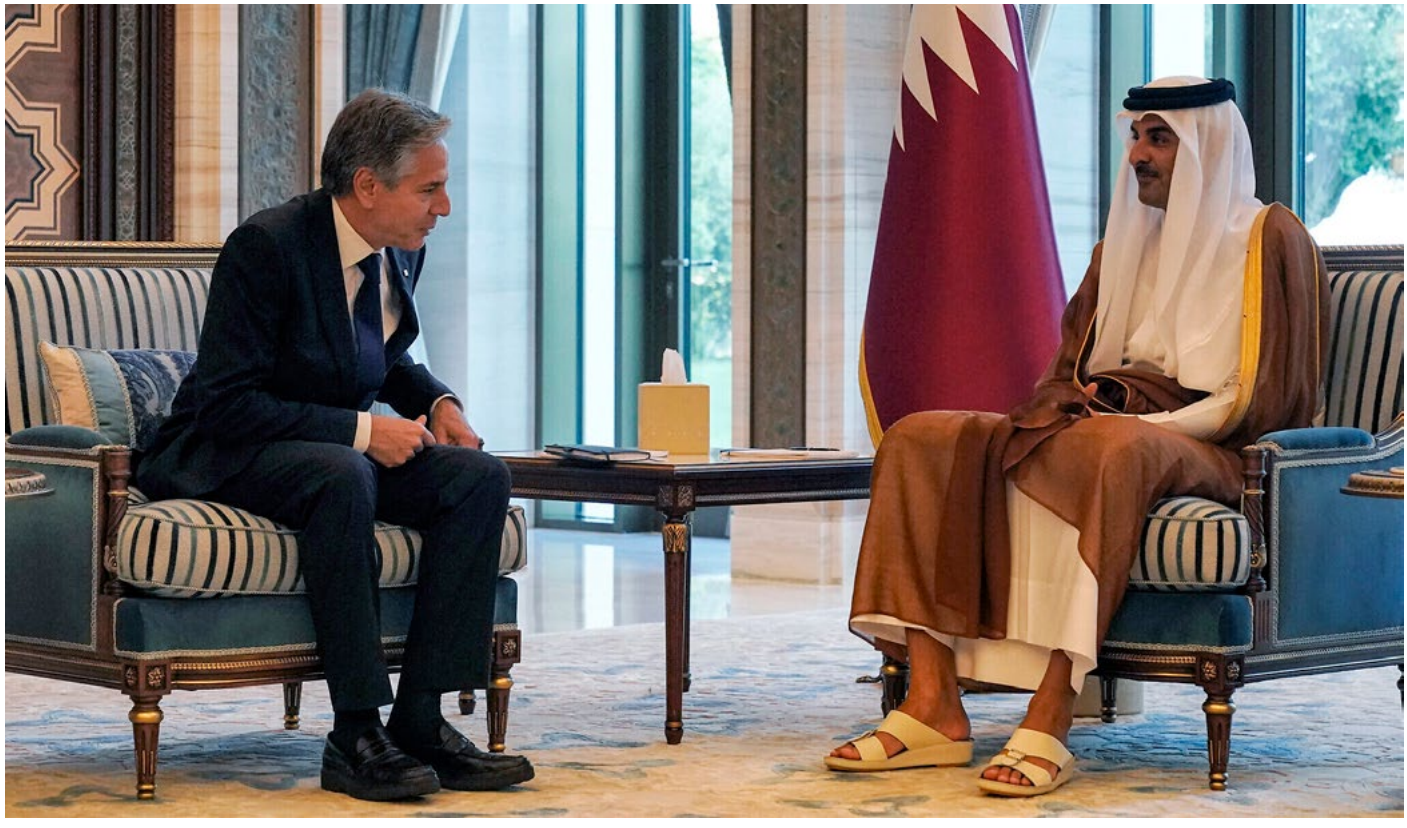

20 الشرق الأوسط، 2023/12/9. https://aawsat.news/wmd4h

السلطة الفلسطينية

بدا موقف السلطة الفلسطينية متماهيًا مع الموقف الغربي الذي ركّز على أنّ «حماس لا تمثّل الشعب الفلسطيني»[21]، ولعلّها وجدت في هذا العدوان على غزة وما يلقاه من دعم غربي، ولا سيّما من الولايات المتحدة، فرصة لتحجيم الحركة وضرب قوّتها. ولم تمنع عقود من المفاوضات الفاشلة ورفض المقاومة واستجداء الحماية والمطالبة بمؤتمر دولي، لم يمنع كلّ ذلك السلطة من اعتماد الخطاب ذاته والمطالب نفسها، وتأكيد التمسك بنهج استفاد منه الاحتلال لقضم مزيد من حقوق الفلسطينيين[22].

لم يُدِن الرئيس الفلسطيني محمود عباس عملية طوفان الأقصى أو حركة «حماس» في باكورة مواقفه بعد العملية وبداية العدوان الإسرائيلي على غزة، وترأس اجتماعًا قياديًا طارئًا ضمّ عددًا من المسؤولين المدنيين والأمنيين، ووجّه «بضرورة توفير الحماية لأبناء شعبنا»، مؤكدًا حقّ الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه في مواجهة إرهاب المستوطنين وقوات الاحتلال، موجهًا بتوفير كل ما يلزم من أجل تعزيز صمود وثبات أبناء شعبنا في وجه الجرائم المرتكبة من قبل الاحتلال الإسرائيلي وعصابات المستوطنين[23].

21 كرّر مسؤولون أمريكيون وأوروبيون تصريحات تفيد أنّ «حماس» لا تمثل الشعب الفلسطيني. انظر على سبيل المثال:
- تصريحات للرئيس الأمريكي جو بايدن: الجزيرة، 2023/10/16. https://aja.me/adgfw5
- بيان مشترك صادر عن زعماء الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا: الجزيرة، 2023/10/10. https://aja.me/8eihju
- رئيس وزراء بريطانيا ريشي سوناك في تغريدة على منصة X، 2023/10/16.
https://twitter.com/RishiSunak/status/1713942266165743918

22 هاني المصري: السلطة وطوفان الأقصى، شبكة قدس الإخبارية، 2023/12/12. https://qudsn.co/post/201749

23 وفا، 2023/10/7. https://www.wafa.ps/Pages/Details/79807

وقال في اتصالين منفصلين تلقّاهما من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ووزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن إنّ سبب التصعيد هو انسداد الأفق السياسي، وممارسات المستعمرين وقوات الاحتلال[24].

على أثر ذلك، بدا موقف السلطة أكثر ميلاً إلى التنصلّ من العملية، وحصر المسؤولية في حركة «حماس» التي «لا تمثل الشعب الفلسطيني»، وكشف محمود الهباش، مستشار عباس، في مقابلة مع صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» في 2023/12/7، أنّ عباس يدين «حماس» في كلّ مكالمة واجتماع يجريه مع قادة العالم منذ عملية طوفان الأقصى، لكنّه لن يفعل ذلك علنًا في ظلّ استمرار الحرب في غزة[25].

وفي 2023/10/15، نشرت وكالة الصحافة الفلسطينية «وفا» تقريرًا تضمّن تصريحًا للرئيس الفلسطيني في اتصال هاتفي مع الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو، وجاء في التقرير أنّ الرئيس «شدّد على أن سياسات وأفعال حماس لا تمثل الشعب الفلسطيني»، وأنّ منظمة التحرير الفلسطينية هي «الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني». وبعد ساعات من نشر التقرير، عدّلت الوكالة النص بما يفيد المعنى ذاته، لكن بترتيب مختلف للمفردات. ووفق النصّ المعدّل، «أكد الرئيس أن سياسات وبرامج وقرارات منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تمثل الشعب الفلسطيني بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وليس سياسات أيّ تنظيم آخر».[26]

لكن الكلام الذي عدّلته «وفا» في تقريرها عاد ليطلّ برأسه في لقاء عباس برئيس الحكومة البريطانية ريشي سوناك في القاهرة، في 2023/10/20، إذ قال بيان صادر عن مكتب سوناك، إنّ «عباس وسوناك دانا حركة حماس، وشدّدا على أنّها تمثل الشعب الفلسطيني»[27].

ولم يكن موقف عباس أفضل في قمّة القاهرة للسلام في 2023/10/21، فعكس ظاهر كلامه تمسّكًا بالأرض وحرصًا على الحق الفلسطيني وباطنه تنكّر للمقاومة، حيث أشار إلى ما يجري في غزة بدوّامة العنف، وهو ما يشمل ما تقوم به المقاومة من ردّ على اعتداءات الاحتلال؛ ودان «قتل المدنيين من الجانبين»، وهو ما يعني المساواة بين فعل الاحتلال وفعل المقاومة على الرغم من أنّ المستوطنين أقرب إلى الميليشيات منهم إلى المدنيين، وهم غالبًا يحملون السلاح، وجرائمهم بحقّ الفلسطينيين في تصاعد وفق تقارير منها ما هو صادر عن جهات إسرائيلية، وهم يقيمون في أرض فلسطينية سرقها الاحتلال من أصحابها[28].

24 وفا، 2023/10/7. https://www.wafa.ps/Pages/Details/79855؛
وفا، 2023/10/7. https://www.wafa.ps/Pages/Details/79887
25 تايمز أوف إسرائيل، 2023/12/7. https://buff.ly/41nQcEs
26 الجزيرة، 2023/10/16. https://aja.me/h72da5
27 عربي 21، 2023/10/20. https://arabi21.com/story/1545710
28 أوتشا، 2023/9/21. https://buff.ly/41tQREs؛
عنف المستوطنين = عنف الدولة، منظمة بتسيلم الإسرائيلية، https://www.btselem.org/arabic/topic/settler_violence

ودعا عباس إلى إطلاق سراح المدنيين والأسرى والمعتقلين كافة، والالتزام بالشرعية الدولية والاتفاقات الموقعة، ونبذ العنف، واتخاذ الطرق السياسية والقانونية لتحقيق أهدافنا الوطنية[29]، والعنف هنا يشمل الفعل المقاوم، أمّا الدعوة إلى اعتماد الطرق القانونية والسياسية، فعلاوة على ما تحمله من تنكّر للمقاومة وتنصّل من فعلها، فهي تحمل انفصالاً عن الواقع الممتد على مدى عقود من استجداء الأمم المتحدة، والفشل في إلزام الاحتلال بوقف عدوانه على الأقصى أو وقف سياسة الاعتقالات وإطلاق سراح الأسرى.

وفي 2023/12/8، أكّد الرئيس عباس، في مقابلة مع رويترز، موقفه الثابت المتمسّك بالتفاوض بدلاً من المقاومة المسلحة لإنهاء الاحتلال الذي طال أمده، مشيرًا إلى أنه مع المقاومة السلمية ومع المفاوضات على أساس مؤتمر دولي للسلام وتحت رعاية دولية للتوصل إلى حل سياسي يؤدي إلى «إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية»[30].

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة أعلنت دعمها العدوان على غزة ووقوفها المطلق في صفّ الاحتلال على الرغم من المذبحة التي يرتكبها بحقّ المدنيين، لم تعلن السلطة أيّ موقف من هذا الدعم، والتقى الرئيس عباس وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن ثلاث مرات، وأبدى تجاوبًا مع الطرح الأمريكي

29 الجزيرة، 2023/10/21. https://aja.me/hico1v
30 رويترز، 2023/12/9. https://buff.ly/3TfSnYr

الذي تحدّث عن دور للسلطة في غزة، ففي لقاء مع وزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكن عُقد في رام الله في 2023/11/5، أبدى عباس استعداده «للمساعدة في إدارة القطاع» بعد «عزل» حركة «حماس»، واستحقّ عباس الشكر من بلينكن للمساعدة في «الحفاظ على الهدوء بالضفة الغربية»[31].

وفي مقابلة تلفزيونية في 2023/11/22، قال الناطق باسم الرئاسة الفلسطينية نبيل أبو ردينة إنّ السلطة الفلسطينية «على استعداد لتولّي المسؤولية في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية»، و«لا علاقة لنا بما يجري بين حماس وإسرائيل»، مضيفًا «نحن مسؤولون عن الشعب الفلسطيني في غزة»[32].

وأشار الهباش، في المقابلة التي نشرتها «تايمز أوف إسرائيل»، إلى أنّ السلطة لم تكن تريد هذه الحرب أو تحتاج إليها، متسائلًا: «ما الهدف منها؟ هل تصوّرت حماس أنها تستطيع الفوز؟وقال إن السلطة تستطيع أن تحافظ على الهدوء في غزة، لكنها بحاجة إلى فترة انتقالية مدتها ستة أشهر على الأقل حتى تتمكن من «إعادة التأهيل» قبل أن تتمكن من العودة إلى حكم غزة للمرة الأولى منذ أن أطاحت بها حماس في عام 2007، وأوضح الهباش إنه خلال هذه الفترة، ستوافق رام الله على وجود قوة دولية أو عربية للمساعدة في إدارة الشؤون المدنية والأمنية في غزة حتى تصبح السلطة الفلسطينية جاهزة لتولي المسؤولية[33].

وفي ما خصّ التنسيق الأمني، صدر بيان في 2023/10/18 على أثر اجتماع للقيادة الفلسطينية برئاسة عباس، أكّد الالتزام بجميع القرارات التي اتخذت في 2023/7/3، بشأن العلاقة مع دولة الاحتلال بما فيها استمرار وقف التنسيق الأمني بالكامل[34]. لكن معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي تحدّث عن استمرار التنسيق الأمني في حدّه الأدنى[35]، ولفت تقرير نشرته صحيفة لوموند الفرنسية في 2023/12/11، إلى توفيق الطيراوي عضو اللجنة المركزية لفتح الذي خبر التنسيق مع «إسرائيل»، وشارك في عشرات الاجتماعات مع رؤساء المخابرات الإسرائيلية، وأوضح أن خليفته الحالي ماجد فرج لم ينحرف عن هذا النهج، فهو يستمر في مقابلة رونين بار رئيس جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك) بشكل منتظم[36].

---

31 الجزيرة، 2023/11/5. https://aja.ws/40nivm

32 الحرة، 2023/11/22. https://buff.ly/3RelIRB

33 تايمز أوف إسرائيل، 2023/12/7. https://buff.ly/41nQcEs

34 وفا، 2023/10/18. https://www.wafa.ps/Pages/Details/82112

قررت القيادة الفلسطينية، في 2023/7/3، وقف جميع الاتصالات مع دولة الاحتلال واستمرار وقف التنسيق الأمني معها، وتقنين العلاقات مع الإدارة الأمريكية، ردًا على العملية العسكرية الإسرائيلية في مدينة جنين ومخيمها، شمالي الضفة الغربية.

انظر: وكالة الأناضول، 2023/7/3. http://v.aa.com.tr/2936120

وكانت السلطة أعلنت تعليق التنسيق الأمني مع دولة الاحتلال في كانون الثاني/يناير 2023 بعد هجوم للاحتلال على مخيم جنين وقتل تسعة فلسطينيين.

انظر: بي بي سي عربي، 2023/1/26. https://buff.ly/3RM7hVh

35 Reem Cohen: A Functional Palestinian Authority: An Essential Israeli Interest, Israeli Institute for National Security Studies, 11/12/2023. https://www.inss.org.il/publication/functioning-pa/

36 لوموند، 2023/12/11. https://buff.ly/46ZsPlH

وفي 2023/12/15، قال مسؤول أمريكي كبير إن قوات السلطة الفلسطينية عملت بشكل استثنائي في منع حركة «حماس» من تنفيذ «أعمال عنف» في الضفة بعد عملية السابع من أكتوبر[37].

واعترضت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة مسيرات تضامن مع غزة، وقتلت المواطن محمود أبو لبن دهسًا بمصفحة عسكرية في أثناء تفريق تظاهرة منددة بالعدوان على غزة في 2023/10/17[38]، كما نفذت اعتقالات في الشفة، فاعتقلت ما يزيد على 50 فلسطينيًا في رام الله في 2023/10/17 في اليوم ذاته الذي نفذت فيه قوات الاحتلال مجزرة المستشفى المعمداني في غزة[39].

ولم تمانع السلطة، رغم استمرار العدوان على غزة، التفاهم مع الاحتلال على حلّ أزمة أموال المقاصة، بحيث تحوّل «إسرائيل» الأموال مقابل تسليم السلطة قائمة بأسماء متلقي الرواتب في قطاع غزة، ليتم استثناء «المحسوبين على حماس» من تلقّي الرواتب[40].

وتوّج عباس ما تقدّم من موقف للسلطة، في مقابلة تلفزيونية[41]، بتأكيد استعدادها لتولي المسؤولية في قطاع غزة، مشيرًا إلى أن مرحلة ما بعد الحرب ستكون اختبارًا للولايات المتحدة لإثبات قدرتها على الوفاء بالتزامها في دعم حكم السلطة على القطاع. وقال إنّ السلطة «موجودة في غزة رغم انقلاب حماس في 2007»، ولم تنقطع عن دفع الرواتب لموظفيها في القطاع، ولديها بالفعل الكوادر والخطط لحكم غزة في اليوم التالي للحرب، إذ إنّ الكوادر التابعة للسلطة موجودة بالفعل فى غزة. ولفت عباس إلى أنّ موقف السلطة في المحادثات مع سائر الفصائل محدّد في أربع نقاط رئيسة، هي وحدة الشعب الفلسطيني، والشرعية الدولية، والمقاومة السلمية، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. فأمّا «وحدة» الشعب الفلسطيني فعكَسها استفرادُ السلطة الفلسطينية، على مدى سنوات، في فرض رؤيتها التي لم تسفر عن أيّ تقدم تجاه قيام دولة (حتى ضمن ما يقبله «المجتمع الدولي» و«الشرعية الدولية»)، مع استمرار الإصرار على التمسك بـ «المقاومة السلمية» ورفض المقاومة العسكرية على الرغم من أنها حقّ مشروع لمواجهة الاحتلال[42]، وعلى الرغم من أنّها تعضد المطلب السياسي وتعزّزه ولا تتعارض معه.

37 جيروزاليم بوست، 2023/12/15. https://www.jpost.com/breaking-news/article-778130؛
انظر أيضًا حول التنسيق الأمني بعد طوفان الأقصى: الجزيرة، 2023/12/26. https://aja.ws/enc8gx

38 وكالة معًا الإخبارية، 2023/10/26. https://buff.ly/3TpfH6g

39 الجزيرة، 2023/10/31. https://aja.me/bdleib؛
فرانس 24، 2023/10/22. https://buff.ly/474JOmw

40 الجزيرة، 2023/12/17. https://aja.ws/y54z6u؛
وانظر: وكالة معًا الإخبارية نقلاً عن القناة 12 الإسرائيلية، 2023/12/17. https://buff.ly/3GYilbw

41 للاطلاع على نص المقابلة التي أجرتها الإعلامية المصرية لميس الحديدي وبثت في 2023/12/26:
الوطن، 2023/12/27. https://buff.ly/3TDc1Or

42 إحسان عادل: هل يملك الفلسطينيون الحق في المقاومة وما هي حدود ذلك؟، القانون من أجل فلسطين، 2023/10/8. https://buff.ly/48v2gXj

الموقف العربي: خطاب مكرر من الإدانة، ومساواة بين المقاومة والاحتلال

كانت عملية طوفان الأقصى، بتوقيتها وسرعتها وإنجازها، صادمة ومفاجئة، لكن الموقف العربي منها، ومن العدوان الذي شنّه الاحتلال على غزة على أثرها، لم يكن مفاجئًا، بل جاء تكرارًا للموقف الذي تكرّس منذ سنوات على خطاب يساوي بين الاحتلال والمقاومة، وبين المعتدي وصاحب الحق، عبر الدعوة إلى وقف العنف والتصعيد، بالتوازي مع الامتناع عن موقف جدّي وفعلي يضغط لوقف العدوان.

مع تطورات اليوم الأول من عملية طوفان الأقصى وبداية العدوان الإسرائيلي على غزة، أعلنت مصر عن بدء اتصالات دولية لوقف التصعيد، وحمّلت الخارجية المصرية جيش الاحتلال المسؤولية، وحذرت من الاعتداء على المدنيين، داعية لوقف الاعتداءات والأعمال الاستفزازية ضد الشعب الفلسطيني، والالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني في ما يتعلق بمسؤوليات الدولة القائمة بالاحتلال[43].

وأجرى وزير الخارجية المصري سامح شكري اتصالاً مع جوزيب بوريل، الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي، حيث أكّد «أهمية وقف التصعيد الجاري وممارسة ضبط النفس من جميع الأطراف، لما ينطوي عليه الأمر من مخاطر وخيمة».

43 وكالة الأناضول، 2023/10/7. http://v.aa.com.tr/3010407

وأكّدت الخارجية الأردنية أنّ وقف التدهور لا يمكن أن يتحقق إلا إيجاد أفق سياسي حقيقي لتحقيق السلام على أساس حل الدولتين، مشددة على ضرورة وقف «التصعيد الخطير في غزة ومحيطها»، محذّرة من الانعكاسات الخطيرة لهذا التصعيد «الذي يهدّد بتفجر الأوضاع بشكل أكبر، خصوصًا في ضوء ما تشهده مدن ومناطق في الضفة الغربية من اعتداءات وانتهاكات إسرائيلية على الشعب الفلسطيني، وعلى المقدسات الإسلامية والمسيحية وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه».

وحذّرت الوزارة من تبعات هذا التصعيد «على كل جهود تحقيق التهدئة الشاملة»، وأكدت ضرورة ضبط النفس وحماية المدنيين واحترام القانون الدولي الإنساني، وقالت إنّ «تصاعد العنف بكل أشكاله واستمرار التصعيد سيؤدّيان إلى ما هو أسوأ، وسينعكسان سلبًا على الجميع».

وقالت الخارجية السعودية إنّ المملكة «تتابع من كثب تطورات الأوضاع غير المسبوقة بين عدد من الفصائل الفلسطينية وقوات الاحتلال الإسرائيلي، ما نتج عنها ارتفاع مستوى العنف الدائر في عدد من الجبهات هناك"، ودعت إلى «الوقف الفوري للتصعيد بين الجانبين، وحماية المدنيين وضبط النفس»، مجددة «دعوة المجتمع الدولي لتفعيل عملية سلمية ذات مصداقية تفضي إلى حلّ الدولتين»[44].

وفيما حمّلت قطر «إسرائيل وحدها مسؤولية التصعيد الجاري الآن؛ بسبب انتهاكاتها المستمرة لحقوق الشعب الفلسطيني، وآخرها الاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى المبارك تحت حماية الشرطة الإسرائيلية، فقد أعربت عن قلقها البالغ إزاء تطورات الأوضاع في قطاع غزة، ودعت الأطراف جميعها إلى وقف التصعيد والتهدئة وممارسة أقصى درجات ضبط النفس.

أمّا الإمارات فقالت إنّ «الهجمات التي تشنّها حركة حماس ضد المدن والقرى الإسرائيلية القريبة من قطاع غزة، بما في ذلك إطلاق آلاف الصواريخ على التجمعات السكانية، تشكّل تصعيدًا خطيرًا وجسيمًا». وأعربت الوزارة عن استيائها الشديد إزاء التقارير التي تفيد باختطاف مدنيين إسرائيليين من منازلهم كرهائن، وأكدت «ضرورة أن ينعم المدنيون من كلا الجانبين بالحماية

44 الجزيرة، 2023/10/7. https://aja.me/4z1a2k

الكاملة بموجب القانون الإنساني الدولي، وضرورة ألا يكونوا هدفًا للصراع». وأعربت دولة الإمارات عن تعازيها لأسر الضحايا، ودعت إلى بذل الجهود الدبلوماسية كافة لمنع حدوث مواجهة إقليمية أوسع نطاقًا. كما عبرت الوزارة عن أسفها العميق للخسائر في الأرواح الإسرائيلية والفلسطينية نتيجة لاندلاع أعمال العنف، ودعت الطرفين إلى وقف التصعيد وتجنب تفاقم العنف وما يترتب على ذلك من عواقب مأساوية تؤثر في حياة المدنيين والمنشآت[45].

ومع تصاعد العدوان على غزة وإيغال الاحتلال في استهداف المدنيين والبنية التحتية، قالت وزيرة الدولة للتعاون الدولي الإماراتية ريم الهاشمي أمام مجلس الأمن في 2023/10/24، إن هجمات حماس بربرية وشنيعة ونطالبها بالإطلاق الفوري وغير المشروط لسراح الرهائن[46].

وفيما قالت الخارجية العمانية إنّ التصعيد هو «نتيجة استمرار الاحتلال الإسرائيلي غير المشروع للأراضي الفلسطينية والاعتداءات الإسرائيلية المستمرة، وينذر بتداعيات خطيرة»، فقد دعت الطرفين إلى «ممارسة أقصى درجات ضبط النفس وضرورة حماية المدنيين»[47].

ودانت المملكة المغربية استهداف المدنيين من أيّ جهة كانت، وقالت إنّ نهج الحوار والمفاوضات يظلّ السبيل الوحيد للوصول إلى حلّ شامل ودائم للقضية الفلسطينية[48].

وانتقدت البحرين، في 2023/10/9، عملية طوفان الأقصى، وقالت الخارجية البحرينية في بيان إنه «من الضروري الوقف الفوري للقتال الدائر بين حركة حماس والقوات الإسرائيلية»، مشددة على طدعم الجهود الرامية إلى وقف القتال والتصعيد، والتوصل إلى حلّ سياسي عبر الحوار والمفاوضات وتسوية سلمية نهائية للصراع وفقًا لحل الدولتين وقرارات الشرعية الدولية»، واستنكرت الوزارة «ما ورد في بعض التقارير عن اختطاف المدنيين من منازلهم كرهائن» وعبرت عن أسفها البالغ للخسائر الكبيرة في الأرواح والممتلكات وتعازيها لأسر الضحايا، وتمنياتها للمصابين بالشفاء العاجل»، مطالبة بـ «وقف

45 موقع وزارة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة، 2023/10/8. https://buff.ly/3GPLSUJ

46 موقع البعثة الإماراتية الدائمة في الأمم المتحدة، 2023/10/24. https://buff.ly/48kvE1G

47 الجزيرة، 2023/10/7. https://aja.me/4z1a2k

48 روسيا اليوم، 2023/10/7. https://ar.rt.com/w6jb

التصعيد وتجنّب العنف الذي يهدد الأمن والاستقرار الإقليمي وينذر بعواقب وخيمة على المنطقة»[49].

وفي «المنتدى التاسع عشر للأمن الإقليمي حوار المنامة 2023» الذي نظمه المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في 2023/11/17، وصف ولي عهد البحرين الأمير سلمان بن حمد آل خليفة عملية طوفان الأقصى بأنّها «بربرية ومروّعة»، وقال إنّه «ينبغي ألا يكون هناك إرهاب موجّه من غزة باتجاه إسرائيل»[50].

المشكلة ليست القضاء على «الإرهاب»

مع تصاعد العدوان، لم تخفِ بعض التصريحات العربية الرسمية تأييد التخلص من حركة «حماس» أو عدم التعارض مع هدف الاحتلال في القضاء على إحدى حركات المقاومة. وذكر المبعوث الأمريكي السابق إلى الشرق الأوسط دينيس روس، في مقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز، أنّ «إسرائيل ليست الوحيدة التي تعتقد أن عليها هزيمة حماس» مضيفًا «خلال الأسبوعين الماضيين، عندما تحدّثت مع مسؤولين عرب في أنحاء مختلفة من المنطقة أعرفهم منذ فترة طويلة، قال لي كل واحد منهم إنه لا بد من تدمير حماس في غزة». ونقل عنهم أنه «إذا عُدّت حماس منتصرة، فإن ذلك سيضفي الشرعية على أيديولوجية الرفض التي تتبناها الجماعة، ويعطي نفوذا وزخمًا لإيران والمتعاونين معها، ويضع

49 موقع الخارجية البحرينية، 2023/10/9. https://buff.ly/3v3kmki

50 سي أن أن عربي، 2023/11/17. https://buff.ly/41I3Thv

حكوماتهم في موقف دفاعي»، وبيّن: لذا فأولئك الزعماء يحتاجون إلى أن يُنظر إليهم على أنهم يدافعون عن الفلسطينيين، على الأقل خطابيًا[51].

وفي التصريحات التي نقلها الإعلام، كانت تصريحات الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الأكثر وضوحًا لجهة التقاطع مع هدف الاحتلال في القضاء على حركة «حماس»، وإن كان لا يؤيد قتل المدنيين في غزة أو تهجيرهم إلى مصر.

فقال السيسي، في لقاء مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في القاهرة في 2023/10/25، إنّ «الهدف المعلن للحرب هو تصفية حماس والجماعات الأخرى في غزة، وهذا الأمر يتطلّب سنوات طويلة»[52]، ما جعله يبدو كمن يشخّص الوضع من دون أن يرفضه أو يعارضه.

وفي لقاء مع المستشار الألماني، في 2023/10/18، قال السيسي إنّ ما يحدث في غزة الآن ليس حرص إسرائيل على توجيه عمل عسكري ضد حماس وحسب، إنما محاولة لدفع المدنيين إلى اللجوء والهجرة الى مصر، ما يعكس موافقته على العمل العسكري ضد «حماس» ورفض هجرة الغزيين.

وقال الرئيس المصري إنّ «فكرة نقل الفلسطينيين من القطاع إلى سيناء تعني نقل فكرة المقاومة والقتال من غزة إلى سيناء، فتصبح سيناء قاعدة للانطلاق بعمليات ضد إسرائيل، التي سيكون لها حقّ الدفاع عن نفسها فتوجّه ضربات إلى الأراضي المصرية ومصر». وقال «إذا كان هناك فكرة حول تهجير الفلسطينيين من غزة، فتوجد صحراء النقب في إسرائيل»، مستطردًا بأنّه «يمكن إعادة الفلسطينيين مجددًا إلى غزة بعد انتهاء إسرائيل من مهمتها المعلنة، وهي تصفية الجماعات المسلحة على غرار حركتي حماس والجهاد الإسلامي»[53].

قمم وبيانات: خطاب العجز والتنصّل من المسؤولية

بعد أكثر من شهر من العدوان، تداعت الدول العربية والإسلامية إلى عقد قمّة طارئة بشأن العدوان على غزة، وعقدت قمة عربية إسلامية في الرياض في 2023/11/11[54]، لم تخرج بأيّ قرار عملي أو خطة

51 نيويورك تايمز، 2023/10/27. https://buff.ly/3RmoEL6

52 قدس برس، 2023/10/25. https://qudspress.com/89312/

53 اليوم السابع، 2023/10/18. https://buff.ly/3ThMKJu

54 أعلنت وزارة الخارجية السعودية، في 2023/11/10، عن دمج «القمة العربية غير العادية» و«القمة الإسلامية الاستثنائية» في قمة موحّدة تعقد بالرياض في 2023/11/11. ونقلت صحيفة العربي الجديد عن مصادر إنّ الدمج جاء بسبب عدم التوفق على قرارات مهمّة ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث حالت دول متنفذة وازنة في الجامعة العربية دون تبني مقترحات جادة تحمل إجراءات ضاغطة على الاحتلال الإسرائيلي لوقف عدوانه، إذ ضغطت هذه الدول للاستعاضة عن الإجراءات بفقرات باهتة.

انظر: العربي الجديد، 2023/11/11. https://buff.ly/3NhIDZQ

فعالة للضغط من أجل وقف العدوان[55]، بل وجّه بيانها مطالبات إلى دول العالم، لكأنّ الدول العربية والإسلامية مجتمعة لا تملك وسيلة للضغط على الاحتلال لوقف مذبحته بحقّ المدنيين في غزة.

ودان البيان الختامي للقمّة العدوان الإسرائيلي على غزة، وجرائم الحرب والمجازر الهمجية الوحشية واللاإنسانية التي ترتكبها حكومة الاحتلال الاستعماري، ودعا إلى وقف الحرب على القطاع، ورفض وصف الحرب الانتقامية الإسرائيلية على أنها دفاع عن النفس أو تبريرها تحت أيّ ذريعة، ودعا إلى كسر الحصار الذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي على غزة، وفرض إدخال قوافل مساعدات إنسانية عربية وإسلامية ودولية إلى القطاع، ودعا جميعَ الدول إلى «وقف تصدير الأسلحة والذخائر إلى إسرائيل». لكن الدول مجتمعة لم تعلن أيّ التزام من جانبها، إن على مستوى العلاقات التجارية والاقتصادية مع دولة الاحتلال، أو في ما خصّ اتفاقيات التطبيع أو العلاقات الدبلوماسية، أو حتى الضغط عبر سلاح النفط لحمل «دول العالم» التي دعاها بيان القمة إلى وقف تسليح «إسرائيل» إلى التوقف عن إمدادها بسلاح قتل الفلسطينيين وتدمير غزة. بل إنّ خالد الفالح، وزير الاستثمار السعودي، قال في 2023/11/7، في منتدى بلومبيرغ للاقتصاد الجديد المنعقد في سنغافورة، إن التلويح بأسعار النفط للضغط من أجل وقف الحرب على غزة ليس مطروحًا على الطاولة، وإن السعودية تحاول تحقيق السلام عبر المفاوضات[56].

ووفق مجلة إيكونوميست البريطانية، فإنّ «أجزاء من البيان الختامي تحمل مفارقة، فبدلاً من كسر الحصار، ساعدت مصر على استمراره ولعقدين تقريبًا، وما من دولة من دول منظمة التعاون الإسلامي تبيع السلاح لإسرائيل، مع أنّ بعض دولها تشتري السلاح منها. وعند القراءة بين السطور، فإنّ القمة تكشف الكثير عن التناقضات التي تقع خلف الرد الإقليمي على الحرب. فالكثير من دول الخليج لا تمانع قضاء إسرائيل على حماس، وحتى مع خوفها من إحياء التطرف في داخل بلدانها. وتريد تعرض «محور المقاومة» لضربة، لكنّها تخشى من أن تكون في مرمى النيران، فهذه الدول تبنّت، ولعدة سنوات، سردًا ركز على الاقتصاد بدلاً من الأيديولوجيا، وهي تخاف من حرب طويلة بغزّة، ما يعني تخريب خططها»[57].

وقبل هذه القمة، استضافت القاهرة بدعوة من الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، في 2023/10/21، قمة دولية للسلام، حضرها ممثلون عن 31 دولة، وثلاث منظمات دولية، وعدد من الشخصيات الاعتبارية، وغاب عن القمة معظم قادة الدول الغربية، واكتفت دول أوروبية بإرسال وزراء خارجية، أما الولايات المتحدة فاكتفت بإرسال القائمة بالأعمال السفيرة بيث جونز، في مستوى تمثيل يعكس عدم الاكتراث بإنهاء العدوان على غزة.

55 الجزيرة، 2023/11/11. https://aja.ws/uug48u

56 عربي 21، 2023/11/8. https://arabi21.com/story/1550465

57 إيكونوميست، 2023/11/16. https://buff.ly/3G89ovR

وفيما جاءت كلمات المتحدثين عامة وتقليدية لا تتناسب مع حجم العدوان، ولا تقدّر – على المستوى العربي والإسلامي – أهمّية ما تحقّق في السابع من أكتوبر[58]، فقد فشلت القمة في التوصل إلى بيان مشترك نظرًا إلى اختلاف المواقف من العدوان ووقفه، وهذا ما لم يكن بحاجة في معرفته إلى قمّة دعيت إليها تراوحت مواقفها ما بين الدعم المطلق والأعمى لدولة الاحتلال، والرضا بالعدوان وتبريره تحت عنوان مضلّل هو «الدفاع عن النفس»، ومنع التظاهرات المناصرة لغزة والرافضة للعدوان.

ونشرت الرئاسة المصرية بيانًا عكس خيبة أملها في التوصّل إلى بيان ختامي أو التعبير عن مطالب مشتركة يمكن أن يترجم إنجازًا لها في حال الاتفاق على إعادة إطلاق عملية سياسية، على الرغم من أنّ العملية السياسية ثبت تاريخيًا فشلها في صدّ الاحتلال وعدوانه أو استعادة الحق الفلسطيني، بل أكثر من ذلك، فإنّها قضمت من الحق الفلسطيني أكثر ممّا أعادت أو رسّخت فيما رفلت دولة الاحتلال تحتها بدعم دولي لعدوانها على الحق الفلسطيني، وما يبدو أنّه موافقة فلسطينية على التمادي الإسرائيلي عبّر عنه ابتداء في اتفاق أوسلو والتخلي عن الحقّ في المقاومة.

وقال البيان إنّ مصر سعت عبر دعوتها إلى هذه القمة، إلى بناء توافق دولي عابر للثقافات والأجناس والأديان والمواقف السياسية، ينبذ العنف والإرهاب وقتل النفس بغير حق، ويدعو إلى وقف الحرب الدائرة التى راح ضحيتها الآلاف من المدنيين الأبرياء على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وإنّها كانت تتطلّع إلى أن يطلق المشاركون نداءً عالميًا للسلام، والتمهيد لإطلاق عملية سلام حقيقة وجادة،

58 على سبيل المثال، قال العاهل الأردني إن سياسة قادة الاحتلال القائمة على الأمن بدلًا من السلام جعلت حل الدولتين مستحيلًا، وتحدث الرئيس الفلسطيني عن تجدد دوامة «العنف»، والعنف يشمل عمل المقاومة، وشجب وزير الخارجية السعودي كل استهداف للمدنيين أينما كانوا.
انظر: الجزيرة، 2023/10/21. https://aja.me/hico1v

تفضي خلال أمد قريب ومنظور إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود حزيران/يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية»[59].

مبادرات لإخراج المحتل من مأزقه

وافقت المقاومة ودولة الاحتلال على هدنة إنسانية، بوساطة قطرية مصرية، استمرت من 24 إلى 2023/11/30، أطلق فيها سراح أسرى إسرائيليين ومحتجزين أجانب في غزة، مقابل تحرير أسرى فلسطينيين من النساء والأطفال من سجون الاحتلال، وإدخال مساعدات إنسانية إلى القطاع[60]. لكن، في أثناء سريان الهدنة، قصف الاحتلال المدنيين وعاد بعد انتهائها لتصعيد وتيرة عدوانه قتلاً وحصارًا وإجبارًا على النزوح، ولم يدخل إلى غزة سوى نزر يسير من حاجات القطاع.

مع تعنّت الاحتلال واستمرار عدوانه على غزة وأهلها، وتعاظم المأساة الإنسانية نتيجة العدوان والحصار، طرحت دول عربية مبادرات بدت أقرب إلى إخراج الاحتلال من مأزقه أكثر من اتساقها مع الشرط الأول للمقاومة وهو وقف إطلاق النار قبل أيّ حديث عن الأسرى الإسرائيليين في غزة[61].

59 موقع رئاسة الجمهورية المصرية، 2023/10/21. https://buff.ly/47Lh0AS

60 الجزيرة، 2023/12/1. https://aja.ws/7743jb

61 قال عضو المكتب السياسي لحماس، عزت الرشق، في 2023/12/25، إن قيادة الحركة تسعى بكل قوة لوقف العدوان والمجازر على شعبنا بشكل كامل وليس مؤقتًا؛ شعبنا يريد وقف العدوان، ولا ينتظر هدنا مؤقتة، وتهدئة مجتزأة لفترة قصيرة، يتواصل بعدها العدوان والإرهاب.
انظر: الجزيرة 2023/12/25. https://aja.ws/8dzh7s

ففي 2023/12/24، نشر في الإعلام مبادرة مصرية إطارها التوصل إلى «اتفاق بشأن تبادل المحتجزين الإسرائيليين بقطاع غزّة والأسرى الفلسطينيين بالسجون الإسرائيلية على ثلاث مراحل رئيسة»[62]، فهدف المبادرة الرئيس الإفراج عن الأسرى الإسرائيليين، بحيث تتم المرحلتان الأوليان مقابل عدد من الأسرى الفلسطينيين يوافق عليهم الاحتلال في ظل وقف مؤقت لإطلاق النار، فيما تشمل المرحلة الثالثة التفاوض على إطلاق من تبقّى من الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة مقابل عدد من الأسرى الفلسطينيين، فلا تقترح المبادرة الإفراج عن «الكلّ مقابل الكلّ»، على الرغم من أنّ هذه المعادلة طرحها في دولة الاحتلال أهالي الأسرى الإسرائيليين في بداية العدوان على غزة، حتى قبل أن يقتل جيش الاحتلال عددًا من الأسرى الإسرائيليين في عدوانه على القطاع[63]، ولا ضمانات للانتقال من المرحلة الأولى على ما بعدها[64].

كذلك، قدّمت قطر مقترحات لتبادل الأسرى، شملت الإفراج عن أسرى إسرائيليين مقابل عدد من الأسرى الفلسطينيين، في ظلّ هدنة إنسانية، وهذه الصفقة خلت بدورها من معادلة «الكلّ مقابل الكلّ»، ولم تطرح وقف إطلاق النار بل هدنة مؤقّتة[65]، وهو ما يريح المحتل عبر الإفراج عن عدد كبير من أسراه، ويمكّنه من استعادة زخم العدوان والإمعان في قصف المدنيين للضغط على المقاومة وإخضاعها لشروطه.

العلاقات مع الاحتلال

لم تتحرك الدول المطبعة والتي تتبادل سفراء مع دولة الاحتلال على مستوى قطع العلاقات مع دولة الاحتلال على مدى الأيام الخمسة والعشرين الأولى من العدوان، وفي 2023/11/1، بالتزامن مع اليوم السادس والعشرين للعدوان، أعلنت الخارجية الأردنية عن استدعاء السفير الأردني في «إسرائيل»، ووجه الصفدي الدائرة المعنية في الخارجية بإبلاغ وزارة الخارجية الإسرائيلية بعدم إعادة سفيرها الذي كان غادر المملكة سابقًا، تعبيرًا عن موقف الأردن الرافض والمدين للحرب الإسرائيلية المستعرة على غزة، والتي تقتل الأبرياء، وتسبب كارثة إنسانية غير مسبوقة، وتحمل احتمالات خطرة لتوسعها، ما سيهدد أمن المنطقة كلها والأمن والسلم الدوليين[66].

62 للاطلاع على تفاصيل المبادرة المصرية: موقع الشرق الإخباري، 2023/12/24. https://buff.ly/3TFwxhk

63 تايمز أوف إسرائيل، 2023/10/28. https://buff.ly/3RBxeFK
من بين الأسرى الذين قتلهم جيش الاحتلال في غزة ثلاثة مستوطنين كانوا يرفعون راية بيضاء في الشجاعية في 2023/12/15.
رويترز، 2023/12/16. https://buff.ly/3RXMbU8

64 ساري عرابي: لماذا تُصرّ حماس والفصائل على وقف إطلاق النار أولًا؟، عربي 21، 2023/12/26. https://arabi21.com/story/1562106؛
وانظر:
المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/12/25. https://buff.ly/41zTzbe؛
المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/12/26. https://buff.ly/3NJD8n3

65 شبكة تلفزيون الصين الدولية، 2023/12/17. https://buff.ly/3GZQszS

66 حساب وزارة الخارجية وشؤون المغتربين على تويتر، 2023/11/1. https://buff.ly/3vg0PNi

وفي 2023/11/2، أعلن مجلس النواب البحريني أنّ السفير الاسرائيلي غادر المملكة، مقابل عودة سفيرها من دولة الاحتلال، إضافة إلى وقف العلاقات الاقتصادية معها، مشيرًا إلى أنّ هذه الخطوات تأتي «تأكيدًا للموقف البحريني التاريخي الراسخ في دعم القضية الفلسطينية والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الشقيق»[67]. وعلى أثر هذا البيان، أكد مركز الاتصال الوطني أن سفير مملكة البحرين لدى الاحتلال عاد إلى المملكة منذ فترة، وأن سفير الاحتلال لدى مملكة البحرين غادر المملكة أيضًا منذ فترة، مشيرًا إلى أن الطيران المباشر بين مطار البحرين الدولي ومطار «تل أبيب» توقّف منذ أسابيع[68].

لكن رويترز نقلت عن ستة مصادر مطّلعة قولها إن البحرين لن تتخلى عن علاقاتها مع دولة الاحتلال، ووفق أحد المصادر، فإنّ البحرين تحاول الحفاظ على العلاقات مع «إسرائيل»، وفي الوقت نفسه التعامل مع الرأي العام[69].

وفي 2023/11/16، قال وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي، في مقابلة مع قناة الجزيرة الفضائية، إن الأردن «لن يوقع اتفاقية تبادل الطاقة والمياه مع إسرائيل لأنه لا يمكن وزيرًا أردنيًا أن يجلس إلى جانب وزير إسرائيلي لتوقيع اتفاق بينما هم يقتلون إخواننا في غزة». وعن المطالبات الشعبية والنيابية لإلغاء اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية، قال الصفدي إن الأردن لن يتردد في اتخاذ كل ما من شأنه مساعدة الشعب الفلسطيني، مضيفًا أنّ «هذه الاتفاقية الآن ستكون وثيقة يغطّيها الغبار فوق أحد الرفوف»[70].

وقال رئيس لجنة الدفاع والداخلية والشؤون الخارجية في المجلس الوطني الاتحادي على راشد النعيمي في مؤتمر بالولايات المتحدة لعدد من المنظمات اليهودية، إنه رغم الحرب الإسرائيلية على غزة لن يتمّ إلغاء اتفاقيات التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي، وقال إنّ «اتفاقيات أبراهام وجدت لتبقى»، وإن «إسرائيل وجدت لتبقى، وجذور اليهود والمسيحيين ليست في نيويورك أو باريس بل هنا في منطقتنا»[71].

67 موقع الحرة، 2023/11/2. https://buff.ly/3TsGL4E
68 وكالة أنباء البحرين، 2023/11/2. https://buff.ly/3GXOIMU
69 رويترز، 2023/11/24. https://buff.ly/3RQ6bYs
70 الجزيرة، 2023/11/16. https://aja.ws/maj2zv
71 موقع European Jewish Press، 2023/10/30. https://buff.ly/3RsUPZ6

أمّا السعودية فجمّدت المحادثات حول التطبيع مع دولة الاحتلال على خلفية العدوان[72]، وكان ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، قال في أيلول/سبتمبر 2023، إن «التقارب في المفاوضات للتوصل إلى اتفاق بين المملكة وإسرائيل يزداد يومًا بعد آخر»، و«لدينا مفاوضات جيّدة مستمرة، ونأمل أن نصل إلى مكان يسهل حياة الفلسطينيين ويجعل إسرائيل لاعبًا في الشرق الأوسط»[73].

وإلى جانب هذا الفتور والتخاذل على المستوى الدبلوماسي، وقّعت شركة «تراكنت» الإسرائيلية اتفاقية مع شركة «بيورترانز» الإماراتية للخدمات اللوجستية لتسيير الشاحنات المحملة بالبضائع من ميناء دبي مرورًا بالأراضي السعودية والأردنية وصولاً إلى ميناء حيفا، لتجنب ضربات جماعة أنصار الله في اليمن ضدّ السفن التي تمرّ في البحر الأحمر إلى دولة الاحتلال. وكشف الإعلام العبري عن وصول دفعة أولى من الشحنات التجارية من دبي إلى دولة الاحتلال عبر هذا الجسر البري، وقال إنّ الشاحنات العشر الأولى أكملت الطريق الطويل من موانئ الخليج العربي إلى «إسرائيل»[74].

وانضمّت شركة مصرية لمشروع الجسر البري، ما خلق مسارًا جديدًا للجسر يمتد من ميناء جبل علي عبر الأراضي السعودية إلى مينائي حيفا وإيلات المحتلة، ومنه تمر الشاحنات عبر الأراضي المصرية إلى موانئ بورسعيد والعين السخنة، بعدما كان مسارات الطريق الأخرى تمتد من ميناء جبل علي في الإمارات حتى مينائي حيفا وإيلات المحتلة فقط[75].

72 موقع Economic Times، 2023/10/14. https://ecoti.in/TvDTjZ

73 فوكس نيوز، 2023/9/20. https://buff.ly/3Rv8yQI

74 صحيفة غلوبس الإسرائيلية، 2023/12/26.https://buff.ly/4aBwAAM
موقع Jewish News Syndicate، 2023/12/14. https://buff.ly/3tCIAT5
وانظر: عرب 48، 2023/12/16. https://buff.ly/484D0qt

75 موقع Israel National News، 2023/12/24. https://buff.ly/3TDG5JI
وانظر: عربي 21، 2023/12/27. https://arabi21.com/story/1562295

لكن وكالة الأنباء الأردنية (بترا) نقلت عن مصادر في وزارتي النقل والصناعة والتجارة قولها إنّه لا صحة لما يتداول من أخبار منسوبة إلى وسائل إعلام عبرية ووسائل تواصل اجتماعي عن وجود جسر بري بديل للبحر الأحمر، عبر موانئ دبي مرورًا بالسعودية والأردن، لنقل بضائع إلى «إسرائيل»[76]. وكان بيان للجيش الأردني أورده على لسان مصدر عسكري مسؤول نفى تقارير عن استخدام قواعد سلاح الجو الملكي الأردني من قبل طائرات أميركية زود جيش الاحتلال بالمعدات والذخائر، لاستخدامها في عمليات القصف على قطاع غزة[77]. وأشارت المنظة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا إلى سماح الأردن للولايات المتحدة الأمريكية باستخدام أراضيها لنقل معدات عسكرية ثقيلة بواسطة 15 طائرة مخصصة لهذا الغرض، وبنقل قوات خاصة على متن طائرة وطائرتين من دون طيار[78]، وعادت المنظمة، بعد النفي الأردني، لتكشف أنّ قاعدة موفق السلطي في محافظة الزرقاء استقبلت، في 2023/10/31، أكثر من 20 طائرة عسكرية ضخمة محملة بكلّ أنواع الأسلحة ليتمّ نقلها إلى دولة الاحتلال التي تستخدمها في حرب الإبادة التي تشنها على سكان غزة[79].

وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» إنّ 500 طن من البندورة استوردتها دولة الاحتلال من الأردن على مدى أسبوع بعد التوجه إلى تقليل الاعتماد على البندورة التركية على أثر تصريحات للرئيس التركي رجب طيب أردوغان انتقد فيها دولة الاحتلال. وقالت الصحيفة إنها اطلعت على الأرقام التي تشير إلى أنّ واردات البندورة من الأردن في ارتفاع كل أسبوع، لتعويض تراجع استيراد الخضروات من تركيا، وتلك التي كانت تأتي من مستوطنات غلاف غزة[80]. وتنصّلت وزارة الزراعية الأردنية من الأمر، وقالت إنها تمنح رخصًا لغايات الاستيراد وليس التصدير، وإن دورها في عملية التصدير ينحصر في فتح الأسواق للمنتج المحلي[81].

76 وكالة الأنباء الأردنية (بترا)، 2023/12/16. https://buff.ly/3RZbQMc

77 الجزيرة، 2023/10/10. https://aja.me/s4dygo

الجزيرة، 2023/10/29. https://aja.me/4wlvz2

78 المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا، 2023/10/26. https://buff.ly/47fNIsT

79 المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا، 2023/10/31. https://buff.ly/3H2eo5R

80 يديعوت أحرونوت، 2023/12/10. https://buff.ly/48jDOI7

81 وبحسب الوزارة، ثمّة سوء فهم واضح لدى البعض حول دور الوزارة في تطوير طرق وآليات التصدير من دون منح رخص التصدير، وفي ما يتعلق بالصادرات إلى أوروبا حيث تخضع لمسار ترانزيت بالمرور عبر ميناء حيفا وذلك بسبب الإغلاقات الحدودية الشمالية والشرقية، وثمة عدد متواضع من التجار الذين يعملون بموجب عقود من الباطن وبشكل فردي ولا ينتمون إلى أيّ حاضنة شريكة للوزارة.

انظر: حساب وزارة الزراعة الأردنية على فيسبوك، 2023/12/18. https://buff.ly/3RZtjE8

الدلالات والتداعيات

أظهر الموقف العربي الرسمي موقفًا سلبيًا من المقاومة العسكرية، وامتنعت الدول عن اتخاذ إجراءات فعلية للضغط على الاحتلال وداعميه لوقف العدوان على غزة. ولعبت دول عربية دور «الإطفائي» حيث ظلّت دعواتها في إطار المطالبات والدعوة لتقديم الإغاثة الإنسانية، من دون موقف عملي على الأرض[82]، ولم تتحرك الدول العربية على مستوى كسر الحصار الذي يفرضه الاحتلال، لإدخال المواد الغذائية والطبية إلى القطاع، ومع إصرار الاحتلال على مزيد من القتل والدمار، يبدو التعاجز العربي منسجمًا مع هذا الإصرار وعاملًا مساعدًا للاحتلال على تنفيذ مزيد من الجرائم بحقّ غزة وأهلها.

وفي ما يأتي أبرز دلالات الموقف العربي الرسمي والتداعيات التي يمكن أن تترتّب على هذا الموقف.

القضيّة الفلسطينية و«الشرعية الدولية»

يراد بـ «الشرعية الدولية» مجموعة المبادئ والقوانين التي تحكم وتوجّه العلاقات الدولية عبر هيئة الأمم المتحدة وبما تصدره هيئاتها المكلفة بحفظ السلم والأمن العالميين وعلى رأسها مجلس الأمن الدولي، وتجد أساسها في الطابع التوافقي التعاقدي للقوانين الدولية والمعبّر عنه في المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تَعتمدها الدول وتوافق عليها وتلتزم بتطبيقها. ويشكل القانون الدولي الإطار القانوني الأهمّ للشرعية الدولية[83].

82 وليد عبد الحي: غزة بين المقاوم والمجرم والإطفائي، موقع ساحة التحرير، 2023/12/1 https://buff.ly/3NAmTZz

83 الجزيرة، 2016/1/16. https://aja.me/pb9738

يعدّ المصطلح سياسيًا بالدرجة الأولى، واتكاؤه على القانون الدولي لا يعني بالضرورة عدالته، فالشرعية متلازمة مع القوة، وفق ما يرى فقهاء القانون والعلوم السياسية، وهي تخدم الأجندات السياسية للقوى المهيمنة، علاوة على أنّ تطبيقها انتقائي وتحكمه الازدواجية في إنشاء النصوص وفي تنفيذها[84].

وفي القضية الفسطينية تحديدًا، ومع ميل القوى ذات التأثير في منظمات الأمم المتحدة إلى الجانب الإسرائيلي وإصرار الولايات المتحدة على استعمال «الفيتو» في مجلس الأمن لمنع تمرير أيّ قرار لا ترضاه دولة الاحتلال، ناهيك بالتجربة التاريخية مع قرارات الأمم المتحدة بخصوص هذه القضية[85]، فإنّ التّمسّك بـ «الشرعية الدولية»، يعكس ابتعادًا عن الواقع، وإصرارًا على رفض المقاومة كعنصر قوّة والتمسّك بدل ذلك بوهم تحرّك «الشرعية الدولية»، التي تقررها دول داعمة للاحتلال، باتجاه تحقيق العدالة للقضية الفلسطينية.

افتراق الموقف الرسمي عن الموقف الشعبي

أظهرت المواقف من عملية طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلية الذي تبعها هوّة في الموقف العربي على المستوى الشعبي والرسمي، إذ تفاعل الشارع العربي بقوّة مع عملية طوفان الأقصى وعبّر عن تأييد المقاومة، ورفض العدوان على غزة، وخرجت تظاهرات في مختلف الدول العربية تطالب بوقف العدوان[86]، وفي الأردن خرجت مطالبات شعبية بإلغاء اتفاقية وادي عربة، وعدم توقيع اتفاق الماء مع دولة الاحتلال، في ما يعرف بصفقة «الماء مقابل الكهرباء»[87]، ودعا الأردنيون إلى مقاطعة الشركات والمنتجات الإسرائيلية والأمريكية[88]، وانتشرت دعوات مماثلة في سائر

84 سعادي ربيعة: ازدواجية المعايير في تطبيق الشرعية الدولية، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية – المجلد 5 - العدد 2 - السنة 2، 2021/1/31. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/144893

85 محسن صالح: إشكالية التعامل الفلسطيني مع الشرعية الدولية، عربي 21، 2023/7/21. https://arabi21.com/story/1525446

86 الجزيرة، 2023/11/17. https://aja.ws/azzgae

87 الجزيرة، 2023/11/15. https://aja.ws/mfhbpr

في عام 2021، وقّع كل من وزير المياه الأردني ووزيرة الطاقة الإسرائيلية إعلانًا للنوايا برعاية أمريكية إماراتية، في معرض «إكسبو دبي 2020»، حيث ينص الاتفاق على أن تصدّر عمّان حوالي 600 ميغاوات من الكهرباء المولدّة من الطاقة إلى دولة الاحتلال، مقابل حصولها على المياه المحلّاة.

88 الجزيرة، 2023/11/14. https://aja.ws/g9rgj6

الدول العربية. وفي 2023/10/13، حاول متظاهرون في الأردن تلبية دعوات للوصول إلى الحدود مع فلسطين المحتلة، لكن الأجهزة الأمنية الأردنية نشرت دورياتها في الطرق المؤدية إلى منطقة الأغوار الحدودية لمنع أي محاولة للتجمع هناك، واستخدمت الغاز المدمع لمنع مئات الشبان من التقدم نحو المنطقة الحدودية مع فلسطين المحتلة[89]. وشهد محيط سفارة الاحتلال في عمان تظاهرات حاشدة، لا سيما احتجاجًا على مجزرة المستشفى المعمداني، لكن قوات الأمن الأردنية منعت المتظاهرين من الوصول إلى مبنى السفارة، واحتجزت عددًا من المحتجّين[90].

وعلى المستوى الفلسطيني، وفي الوقت الذي تحاول فيه السلطة العودة إلى غزة عبر استرضاء الأمريكيين وتعلن نبذها خيار المقاومة والتنصّل من «حماس»، أظهر استطلاع للرأي بين الفلسطينيين، أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ونشرت نتائجه في 2023/12/13، ارتفاعًا في تأييد حركة «حماس»، مقابل رفض ساحق لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، إذ قال قرابة 90% إنه «يجب أن يستقيل». ووفق 60% من الفلسطينيين الذين شملهم الاستطلاع، فإنّ «المقاومة هي الطريق الأمثل لإنهاء الاحتلال». وقال 72% من المستطلعين إنّهم يؤيدون عملية طوفان الأقصى، فيما عارض 64% من المستطلعة آراؤهم مشاركة السلطة الفلسطينية في لقاءات مع الولايات المتحدة ودول عربية أخرى لبحث مستقبل قطاع غزة بعد الحرب، وقال 60% منهم إنهم «يفضلون بقاء حكم حماس في قطاع غزة بعد الحرب»[91].

مسار التطبيع: سراب تحقيق «السلام» وحلّ القضية الفلسطينية

روّج المؤيدون للتطبيع عام 2020 لهذا المسار بأنّه سيؤدي إلى إحلال «السلام» في المنطقة، وأنّه سيساعد في حل القضية الفلسطينية، بالمعنى الذي يعني طيّ صفحة العمل المقاوم، وتصفية القضية وفق ما يناسب الاحتلال ويلبّي تطلّعاته الأمنية. لكن ما حصل في الأعوام الثلاثة التي أعقبت «اتفاقات أبراهام» هو أنّ دولة الاحتلال صعّدت من عدوانها على الفلسطينيين والأرض والمقدسات، ولم يشهد مسار «العملية السياسية» أيّ تحرك أو تقدّم، ولم يحلّ «السلام» في المنطقة، واستمر الاحتلال في عدوانه الذي استدعى ردًا من المقاومة، فكانت معركة سيف القدس عام 2021 وعملية طوفان الأقصى في 2023، وبينهما أعمال مقاومة ضدّ الاحتلال ومستوطنيه[92].

89 الجزيرة، 2023/10/13. https://aja.me/m2xpjj

90 الجزيرة، 2023/10/18. https://aja.me/lx12bo

91 المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2023/12/13. https://www.pcpsr.org/ar/node/962
أجري الاستطلاع بين 2023/11/22 و2023/12/3، ونشرت نتائجه في 2023/12/13.

92 انظر توثيق أعمال المقاومة في فلسطين المحتلة في موقع مركز معلومات فلسطين (معطى) في الرابط: https://mo3ta.ps

علاوة على ذلك، لم تستطع الدول المطبّعة، أو لم تُرد، ممارسة أيّ ضغط على الاحتلال لوقف مجازره بحق المدنيين، فدعوات مصر والأردن والإمارات والبحرين والمغرب إلى تجنب استهداف المدنيين[93] لم تلقَ آذانًا صاغية لدى الاحتلال، ولم يكن مشروع القرار الذي قدّمته الإمارات في مجلس الأمن لوقف فوري لإطلاق النار لدواعٍ إنسانية محل استجابة من الولايات المتحدة، التي استعملت النقض لمنع تمرير القرار[94]، ما دفع إلى تعديله ليصبح فارغًا من مضمونه بعدما خلا من أيّ دعوة لوقف إطلاق النار فورًا[95].

وعلى الرغم من ذلك، لا يبدو أنّ الدول المطبعة ستتراجع عن هذا المسار، ففي ما يتعلق بالإمارات، على سبيل المثال، يرى الأستاذ المشارك في مركز الشرق الأدنى وجنوب آسيا للدراسات الأمنية ديفيد دي روش أنّ «الأمر لا يتعلق بإسرائيل ولا بفلسطين. كان الأمر دائمًا يتعلق بإدارة العلاقة مع واشنطن. لذلك كانت اتفاقيات التطبيع في المقام الأول، ولا تزال، أداة لشراء الدعم من الحزبين (الديمقراطي والجمهوري) في واشنطن»[96].

أمّا السعودية، فعلى الرغم من تجميد محادثات التطبيع، فهي لا تزال مهتمّة بالتوصل إلى اتفاق مع دولة الاحتلال، ووفق المتحدث باسم الأمن القومي بالبيت الأبيض جون كيربي، لدى البيت الأبيض مؤشّرات على أنّ السعوديين لا يزالون مهتمّين بهذه المحادثات[97].

المساهمة في إطالة أمد العدوان على غزة: شكّل غياب الموقف الحازم والضاغط على دولة الاحتلال جدّيًا لوقف عدوانها على عزة، أحد الأسباب التي ساعدت الاحتلال على إطالة أمد عدوانه على القطاع. فالاحتلال الذي حدّد أهدافًا غير ممكنة التحقيق في بداية العدوان، حيث تعهّد بالقضاء على حركة

93 على سبيل المثال، قال بيان للخارجية الإماراتية في 2023/10/26، إنّه لا يمكن التخلي عن المدنيين في غزة؛ وقالت السفيرة لانا نسيبة، المندوبة الدائمة للدولة لدى الأمم المتحدة، في 2023/11/16، إنه «على إسرائيل أن توقف هجماتها على المدنيين والأعيان المدنية، وأن تدعم تدابير الحماية الخاصة التي يوفرها القانون الدولي للمستشفيات والمدارس، وأن تضمن وصول المساعدات الإنسانية بشكل آمن ومن دون عوائق».

انظر: الاتحاد، 2023/10/26. http://eti.ae/lcc8؛ وكالة أنباء الإمارات، 2023/11/16. https://buff.ly/41COa3d

وأكد ملك الأردن وملك البحرين، في لقاء في المنامة في 2023/11/1، ضرورة حماية المدنيين في غزة.

انظر: الشرق، 2023/11/1. https://buff.ly/479PICY

94 الجزيرة، 2023/12/18. https://aja.ws/1demv4

95 الجزيرة، 2023/12/22. https://aja.ws/8xd4cp

96 موقع Breaking Defense، 2023/11/2. https://buff.ly/3v3JAid

97 موقع البيت الأبيض، 2023/12/14. https://buff.ly/3GKXdpb

كذلك، كتب توماس فريدمان في نيويرك تايمز، بعد زيارة السعودية والإمارات، إنّ «الشيء الأكثر مدعات للتفاؤل الذي يمكنني نقله من الرياض، ومن التحدث مع المسؤولين الأمريكيين في واشنطن قبل وصولي، هو أنه عندما تنتهي الحرب في غزة، تظل السعودية ملتزمة من حيث المبدأ باستئناف المفاوضات التي كانت جارية قبل 7 أكتوبر. كان المفاوضون يناقشون صفقة كبرى تدخل بموجبها الولايات المتحدة في معاهدة أمنية مع السعودية، وفي الوقت نفسه، ستقوم السعودية بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، شريطة أن تلتزم إسرائيل بخطوات محددة للعمل مع السلطة الفلسطينية نحو تحقيق حل الدولتين».

نيويورك تايمز، 2023/12/12. https://buff.ly/47jJNLA

«حماس» وإعادة الأسرى كافة من قطاع غزة،[98] بدا غير قادر على تحقيق أي من أهدافه، فـ «حماس» وسائر فصائل المقاومة ظلّت قادرة على ضرب المستوطنات و«تل أبيب» رغم مرور أكثر من شهرين من العدوان، ولم يستطع الاحتلال استعادة أيّ أسير، بل قتل عددًا منهم في عدوانه على غزة. وقد عمل على إخفاء إخفاقاته عبر ارتكاب مجازر واستهداف مستشفيات، على أمل أن يرسّخ صورة قطاع غزة مدمّرًا على أنّه انتصار ونجاح في القضاء على «حماس».

وعلى الرغم من أنّ الموقف الأمريكي كان صمّام الأمان الأول للاحتلال للمضيّ في عدوانه وقتل المدنيين، فإنّ الموقف العربي لم يكن غير ذي وزن في استمرار العدوان. ولو افترضنا أنّ هذا الموقف لم يشجّع «إسرائيل» على استكمال عدوانها، وإن كان فعل عبر مهاجمة عملية طوفان الأقصى وعدم مساندة المقاومة بل ووصف عملها بالبربري، إلا أنّه لم يلجمها عندما أحجم عن خطوات من شأنها أن تجبر دولة الاحتلال، بل والولايات المتحدة، على إعادة النظر في حساباتها.

98 كرّر مسؤولون إسرائيليون الحديث عن هذين الهدفين مرات عدّة، ومنها تصريح لنتنياهو قال فيه إن حكومته تعتزم الاستمرار في حربها على قطاع غزة، وهي مصرّة على تحقيق الأهداف المعلنة للحرب، بما في ذلك القضاء على حركة حماس وإعادة الأسرى لدى فصائل المقاومة في غزة)، ومنع أي تهديد مستقبلي لإسرائيل من غزة.

عرب 48، 2023/12/20. https://short.arab48.com/short/DrdG

خلاصة

يتأمّل الاحتلال أن تمكّنه إطالة أمد الحرب على غزة من تحقيق أيّ إنجاز يمكن أن يقدّمه للإسرائيليين ليغطّي على إخفاقه الأمني والاستخباري في عملية طوفان الأقصى، وسعيًا لتحقيق أيّ من الأهداف التي أعلن عنها لبدء العدوان والمضيّ به، كما أنّ إصراره على مزيد من القتل والدمار يهدف إلى إيجاد ضغط هائل على الحاضنة الشعبية لتنقلب على المقاومة، ما يتيح له فرض شروطه في أيّ عملية تفاوض أو وساطات تقوم بها جهات مختلفة.

ويساعد الاحتلالَ على إطالة أمد العدوان واستهداف المدنيين والبنية التحتية والمشافي ومراكز الإيواء مجموعة من العوامل، من بينها غياب موقف عربي رسمي ضاغط يجبره على وقف عدوانه. وقد أظهر العدوان تباينًا كبيرًا في العالم العربي بين الموقف الرسمي والشعبي، فيما بدا واضحًا أنّ مسار التطبيع لم يفتح بابًا لحلّ القضية الفلسطينية، بل ساهم، من بين عوامل أخرى، في تهميش القضية الفلسطينية وتشجيع الاحتلال، بعد عام 2020، عام «اتفاقات أبراهام»، على تصعيد وتيرة عدوانه على الأقصى والأسرى، والاستمرار في مخططات التهويد والاستيطان.

إنّ حالة تعثّر المسار وغياب الأفق في ما يسمى العملية السياسية وانقضاض الاحتلال على الفلسطينيين وممارسة مزيد من العدوان بحقّهم يجعل مقاربة القضية الفلسطينية بالأدوات ذاتها غير ذات فائدة، وإن كان لا بدّ من إنجاح العملية السياسية فلا بدّ من موقف قويّ وأرضية متينة، تنطلق من الحق الفلسطيني وتستند إلى قوّة تحميه، لأنّ الاحتلال لن يتراجع عند استجداء الأمم المتحدة وطلب الحماية من دول العالم، بل بضغط حقيقي يجبره على التراجع، وإنّ مقاومة الاحتلال حقّ كفله القانون الدولي، وإنجازات المقاومة تعزّز الحق الفلسطيني وتدعمه، ما يحتّم دعمها والوقوف بصفّها، لا التنصّل من فعلها الذي يشكّل عامل قوة وضغط يمكن الاستفادة منه لتفعيل المسار السياسي وتحقيق ما يمكن تحقيقه عبره.

مؤسسة القدس الدّولية
al Quds International Institution (QII)
Qii.media